مجلة كلية العلوم الإسلامية

المجلد الثاني العدد الرابع ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

موقف المسلم من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة في ضوء معطيات العصر الحديث

د. يحيى حسين أحمد(*)

ملخص البحث

وقع اختياري على جانب مهم من أحاديث النبي ﷺ وهي أحاديث الفتن وموقف المسلم منها.

حيث وجدت مجالاً رحباً واهتماماً بالغاً في نفوس عامة الباحثين على وجه الخصوص ولمثل هذا النوع من الأحاديث المتعلقة بأحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة.

ونحن في آخر الزمان حيث أخذت الفتن تكثر على هذه الأمة حتى أصبح الزمن صعباً على المسلمين في كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي فلا بد للمسلين من أملٍ يحقق لهم نصرة دينهم وعزتهم وإعادة بناء حضارتهم من جديد في هذا العالم فعزمت على الإجابة من بين تلك الروايات من دواوين السنة النبوية المعطرة التي ارتقت إلى مرتبة القبول. فوقع بحثي من فصلين :

الفصل الأول: ويتألف من مبحثين.

المبحث الأول: هل يمكن إنزال واسقاط احاديث الفتن والملاحم واشراط الساعة ؟

المبحث الثاني: ماهي الشروط والضوابط في انزال واسقاط الأحاديث على زماننا وكل زمان.

الفصل الثاني: ويتألف من مبحثين.

المبحث الأول: موقف المسلم من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة.

المبحث الثاني: هل خروج الفتن وظهور الملاحم يعني قيام الساعة.

والخاتمة والمصادر والهوامش.

ABSTRACT

(*) جامعة الموصل، كلية العلوم الإسلامية، قسم الشريعة.

I have chosen an important aspect of the traditions of Prophet, Mohammed (Allah's blessing and peace be upon him), that is traditions of distresses in addition to the Muslim's attitude against such traditions.

I have found that researchers are widely and greatly interested in this type of traditions that deal with distresses, fierce battles and hour suddenness.

We are in the last time, so, distresses increased against this nation until the time became difficult upon Muslims throughout the Islamic world. Hence, Muslims must have a glimpse of hope that achieves the victory for their religion and honor as well as rebuilds their civilization in this world. For this reason, I have determined to answer among those stories from books of virtuous Sunna of the Prophet that promoted into acceptance level.

المقدمة

الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء. والصلاة والسلام على القدوة الحسنة والأسوة الصالحة سيد الخلق محمد ﷺ.

فإن أحاديث الفتن بمجموعها من امارات الساعة واشراطها.

وهذه الأحاديث من المغيبات التي حازت الاهتمام الكبير لما فيها من أخبار تخص الأحداث الجسام التي ستمر بها الأمة وهي في أحلك ظروفها من الناحية الإجتماعية والاقتصادية والسياسية. وأن هذه الأمة سوف تمتحن في عقيدتها آنئذ وإن وَقع الحوادث التي تمر بهذه الأمة والمسلم في كل يوم يجد الضربات تتوالى على هذه الأمة فأن احاديث الفتن تجد مجالا رحبا للكلام عنها، فوجدت ان اتكلم عنها بأسلوب يفهم من خلالها واقع الحياة لهذه الامة.

الفصـل الأول

المبحث الأول

هل يمكن إنزال وإسقاط أحاديث

((الفتن والملاحم واشراط الساعة على واقعنا))

أقول: إن القارئ والمتأمل لأحاديث الفتن والملاحم واشراط الساعة وكل الأخبار التي أخبر النبي ﷺ عنها والتي روتها لنا كتب السنة النبوية الصحيحة المعتمدة والتي تلقتها الأمة الإسلامية بالقبول: سنجد كماً هائلاً يخبر عن مرحلة ومسيرة للحياة التي ستكون الأمة فيها لا تُنتظر وكيف يمكنها أن تعالج هذه الأحوال التي ستمر بها فانزل كثير من الباحثين هذه الأحاديث على واقعنا وأكثرت حتى بلغ الحد من بعض الكتاب إلى الأخبار بأن هذه الأحوال التي تمر بالأمة هي مما أخبر به النبي ﷺ.

نعم إن هناك علامات وامارات لبعض ما أخبر النبي ﷺ به وأن بعضها قد وقع وقد وقعت بالفعل تلك الفتن إلا أن واقع المسلمين اليوم يستوجب منا أن نحدد ملامح المرحلة التي يمر بها المسلم حتى لا تكون لدينا القدرة على جعل مسار الحياة معطلاً وأن ندرك أن هذه الأحوال، والفتن والاخبار النبوية إنما هي بمثابة معرقلات ومطبات لا يمكن أجتيازها.

إن الشخصية المسلمة هي الشخصية التي لا تعطل القوى التي وهبها الله إياها بدورها في اعمار الكون واصلاحه. بل هي الشخصية المتفاعلة في مواقع الحياة. الآخذة والمعطية البانية الهادفة. أنها شخصية تقتبس من نور الله، وتستلهم خطوات الأنبياء والمجددين. وتنير دربها بنماذج حية من حياة الصحابة – رضوان الله عليهم – والذين أتبعوهم باحسان ممن ترجم مبادئ الإسلام إلى واقع عملي وقد عنوا بالتطبيق قبل النظريات.

لأن أحاديث الفتن – التي تحدث عنها – الرسول ﷺ ليست نوعاً من الجبر أو القدرية الإلزامية التي تحيق بالناس دون أن يكون لهم ذنب فيها، أو دون أن يقدموا من

الأسباب والبدايات ما يجعلها تصيبهم بنتائجها فليس الفتن إلا بما كسب الناس بأنفسهم كما قال الله تعالى ﭽ **وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ** ﭼ[١]

ومن ثمَّ فإن عملية التغيير وإنكار المنكر وقيام الناس برفع أسباب الفتن وعللها سيساعد كثيراً الاعتصام منها والبعد عنها وما أحاديث الفتن والملاحم واشراط الساعة إلا أخبار بمغيبات ستقع في آخر الزمان. ولهذا تعد أحاديث الفتن عامة والملاحم خاصة بمثابة البشرى والأمل لهذه الأمة بفتح جديد.

[ولهذا لما ذكر البخاري – رحمه الله – في صحيحه كتاب الفتن ابتدأه بقوله (باب – قول الله تعالى: ﭽ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً** ﭼ [٢] . وما كان رسول الله ﷺ يحذر من الفتن.

وذلك أن الفتن إذا أتت، فإنها لا تصيب الظالم وحده، وإنما تصيب الجميع ولا تبقي – إذا أتت – لقائل مقالاً، وإنما يجب علينا أن نحذرها قبل وقوعها وأن نباعد أنفساً حقاً بُعداً شديداً عن كل ما يقرب إلى فتنة أو يدني منها. فإن من علامات آخر الزمان كثرة الفتن – كما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: ((يتقارب الزمان، ويقل العمل، ويلقى الشُح، وتكثر، أو قال تظهر الفتن))[٣].

وذلك لأن الفتن إذا ظهرت، فأنه سيكون معها من الفساد ما يكون مُدنياً لقيام الساعة.

ومن رحمة نبي الله – صلى الله عليه وسلم – بنا أن حذرنا من الفتن كلها.

والله جل وعلا قد حذّرنا بقوله ﭽ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً** ﭼ [٤].

قال أبن كثير: – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: ((هذه الآية وإن كان المخاطب بها هم أصحاب رسول الله ﷺ كلها عامة لكل مسلم – لأن النبي ﷺ كان يحذر من الفتن [٥].

وقال الآلوسي في تفسيره أيضاً[٦] هذه الآية: ((فسرت الفتنة في قوله: ﭽ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً** ﭼ[٧] فُسرت بأشياء منها: المداهنة في الأمر بالمعروف والنهي عن النمكر. ومنها التفرق والأختلاف، ومنها ترك الأنكار على البدع إذا

ظهرت ومنها أشياء غير ذلك)). وقال: ((ولكل معنى بحسب ما يقتضيه الحال)). يعني: أنه إذا كان الزمان زمان تفرق وأختلاف، فليحذر بعضنا بعضاً بقوله: چ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً**چ[٨] يعني أتقوا تفرقً واختلافً لا يصيب مآله ولا تصيب بنتيجة الذين ظلموا منكم خاصة، وإنما يصيب الجميع ولا يخص ذلك الأثر – للتفرق والأختلاف مثلاً – الظالم وحده.

فأقول: فالضوابط إذا لم يرعُ حالها ولم ينظر إلى نتائجها – فإنه سيكون الحال حال سوء في المستقبل – إن لم يكن عند أهل العلم من البصر النافذ والرؤية الحقة ما يجعلهم يتعاملون مع ما يستجد من الأحوال، أو يظهر من الفتن، كل وفق ما أراد الله جل وعلا وأراده رسوله ﷺ][٩]

فلهذا أجد لزاماً أن أنقل وابين لهم ما أعلمه من كلام أئمتنا – ومن كلام أئمة الحديث الذي بنوه على مقال – المصطفى ﷺ بل وعلى المولى ﷻ.

المبحث الثاني
ما هي الشروط والضوابط في إسقاط وإنزال الأحاديث على زماننا وكل زمان

إن الصحوة المباركة للمسلمين في كل أنحاء العالم الإسلامي.

جعلت المسلم الغيور على دينه أكثر حرصاً على الفهم منه على القراءة فإن الفهم المتأني هو المعنى بالضوابط والشروط الواجب على كل مسلم أن يقف عندها ولا يقفز فوق النصوص.

[فالنبي ﷺ قال: ((إنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً. فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ))(١٠) ، وقد رأى الصحابة بعده ﷺ الاختلاف، وما نجوا إلا بما تمسكوا به من القواعد الواضحة التي كان عليها المصطفى ﷺ وكان عليها الخلفاء الراشدون من بعده ﷺ](١١)

أما ماهي الفوائد المرجوة من خلال الالتزام بالضوابط والقواعد قبل انزال واسقاط أحاديث الفتن والملاحم واشراط الساعة على الواقع فهي:

أولاً: أن تعصم المسلم من الوقوع فيما لا يقره الشرع وتعصم عقله في تصوراته. لأن المسلم إذا لم يلتزم بأوامر الشرع فأنه سيتيه في انحاء شتى من الأوهام والمشكلات التي ستعرض له فلا عاصم له إلا بما التزم به المسلمون في قديمهم وحديثهم.

ثانياً: إن المسلم إذا سار وراء رأيه فيما يجد من الأراء أو الفتن إذا ظهرت وحللها بعقله ونظر فيها بنفسه دون رعاية لضوابط وقواعد أهل المصطلح من المحدثين. فأنه لا يأمن أن يقع في الخطأ والخطأ إذا وقع فيه فإن عاقبته ليست بالحميدة (١٢).

ثالثاً: ومن الفوائد تلك أنها تسلم المسلم من الأثم. لأن السير وراء الرأي دون رعاية تلك الضوابط والقواعد فانك لا تأمن من الأثم.

ولهذا فلا بد على كل مسلم أن يأخذ بتلك الضوابط المبنية على هدي من كتاب الله ﷻ وسنة رسول الله العطرة التي حدد النبي ﷺ قواعدها وضوابطها.

أهم الضوابط والقواعد:

أولاً: إذا ظهرت الفتن أو تغيرت الأحوال فعليك بالرفق والتأني والحلم وعدم التعجل بانزال واسقاط أحاديث الفتن بصورة مستعجلة والحكم على الواقع بأن هذه العلامة أو الامارة هي المعنية اليوم بواقعنا.

يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ **وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً** ﴾[١٣] .

والنبي ﷺ ثبت عنه كما أخرج البخاري في صحيحه وبوب له وقال ((باب الرفق في الأمر كله)). وكما ثبت في صحيح مسلم من حديث الليث بن سعد عن موسى بن عُلي عن أبيه: أن المستورد القرشي وكان عنده عمرو بن العاص ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((تقوم الساعة والروم أكثر الناس)). قال عمرو بن العاص له – للمستورد والقرشي ((أبصر ما تقول ! قال: ومالي أن لا أقول ما قاله رسول الله ﷺ؟ قال: إن كان كذلك، فلأن للروم خصالاً أربع: الأولى: أنهم أحلم الناس عند الفتنة. والثانية: أنهم أسرع الناس إفاقة بعد مصيبة وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة، أمنعهم من ظلم الملوك[١٤].

إذا الحلم في الفتن وعند تقلب الأحوال لأنه بالحلم يمكن رؤية الأشياء على حقيقتها ويمكن بالحلم أن تصير الأمور على ما هي عليه. فهذه هي القاعدة الأولى.

ثانياً: إذا برزت الفتن وتغيرت الأحوال فلا تحكم على شيء من تلك الفتن أو من تغير الحال إلا بعد تصوره – رعاية للقاعدة ((الحكم على الشيء فرعُ عن تصوره)) فالله جل وعلا يقول ﴿ **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾[١٥] . يعني أن الأمر الذي لا تتصوره ولا تعلمه ولا تكون على بينة منه، فأياك أن تتكلم فيه. وأبلغ منه أن تكون فيه قائلاً أو أن تكون فيه متبعاً أو أن تكون فيه حكماً. فأحاديث رسول الله ﷺ لا تقبل ممن يأتي بها– إلا إذا كان الأسناد بنقل عدول ضابطين عن مثلهم إلى منتهاه – إذا كان في الاسناد فاسق، فإنه قد أنخرمت مروءته وإذا كان في الإسناد من ليس بضابط من يأتي بشيء ويخلطه مع شيء آخر فإنه لا يُقبل ولا يبني على ذلك الحديث حكم شرعي[١٦]. ولهذا فلا بد من رعاية هذه المسألة.

ثالثاً: أن لا تطبق أيها المسلم – أحاديث الفتن وأشراط الساعة على الواقع الذي تعيش فيه فإنه يحلو للناس عند ظهور الفتن مراجعة أحاديث النبي ﷺ في الفتن ويكثر في مجالسهم: قال النبي ﷺ – كذا – هذا وقتها وهذه هي الفتنة – ونحو ذلك. والسلف الصالح علمونا أن أحاديث الفتن لا تنزل على واقع حاضر، وإنما يظهر صدق النبي ﷺ بما أخبر به من حدوث الفتن بعد حدوثها وانقضائها مع الحذر من الفتن جميعاً [١٧].

فمثلاً: ذهب بعضهم الى قول النبي ﷺ ((أن الفتنة في آخر الزمان تكون من تحت رجل من أهل بيتي)) بأنه فلان أبن فلان – أو أن قول النبي ﷺ ((حتى يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع)). بأن المقصود به فلان أبن فلان أو أن قول النبي ﷺ ((يكون بينكم وبين الروم صلح آمن)) إلى آخر الحديث وما يحصل بعد ذلك أو أنه في هذا الوقت.

وهذا التطبيق للاحاديث على هكذا نهج لايصح لأنه لم يقم على فهم واسع لحديث رسول الله ﷺ فالضوابط هذه تعد الاهم في عملية الفهم وعملية الادارك لما عناه الرسول ﷺ في احاديث الفتن والملاحم واشراط الساعة فلا نسارع بالاسقاط وانزال هكذا نوع من الاحاديث.

الفصل الثاني

المبحث الأول

موقف المسلم من أحاديث الفتن والملاحم واشراط الساعة

إن أمواج فتن العصر الذي نعيش فيه عالية ظاهرة متوالية ومركزها كما نرى العالم العربي ((جهة المشرق)) بعامة، ومنها ((تهيج الفتن إلى سائر الجهات والبلدان ولا يسلم منها إلا من عصمه الله وأبواب ((الفتن)) و (الملاحم) التي أخبر عنها ﷺ. في أحاديث أشراط الساعة وما كان وما يكون منها، كثيرة حيث بلغت كماً كبيراً في كتب السنة النبوية بحيث تعامل معها كثير من المسلمين وأتخذوا موقفاً سلبياً منها وتعاملوا مع أحاديث الفتن وأشراط الساعة بمعزل عما يعصف من ((أمواج)) بالأمة[١٨] .

وظهر ذلك على شكل دراسات ذات عناوين براقة، ومظاهر خلابة! هاجت على الأمة حديثاً بسبب ما وقع أخيراً في (العراق) وفي بعض الأجزاء الأخرى من العالم الإسلامي، منها كتاب (عمر امة الاسلام وظهور المهدي)[١٩] و(اخر بيان يا امة الاسلام "هرمجدون")[٢٠] و(حرب آخر الزمان)[٢١] و(القول الفصل في الحرب الاخيرة بين المسلمين واليهود)[٢٢] و(آخر حرب في يهوذا والسامرة والقدس)[٢٣]، حيث وقف المسلم في حيرة من امره بين مُسقط لها ومنزل لها في بعض الأحيان لتلك الأحاديث على واقع الأمة بأسلوب يفهم من خلاله أن الساعة قد أزف وقتها وحان وقع ما حذر منه النبي ﷺ من خروج للفتن، سبق وان قال (الخطيب البغدادي بعد ان اورد جملة من الاحاديث في تاريخ بغداد وفي هذا الشأن في الفتن والملاحم واشراط الساعة وان العراق سيكون محلاً لها أي محلاً للحروب والمعارك، قال: كل هذه الاحاديث التي ذكرناها واهية الاسانيد عند أهل العلم لايثبت بامثالها حجة واما متونها فانها غير محفوظة الا عن هذه الطرق الفاسدة وامرها الى الله العالم لامره ولا راد لحكمه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد)[٢٤].

اذن فهذه الظاهرة قديمة ولها كتبها ومروجوها واعلامها واساليبها لكن العلم الصحيح بقواعده ومنهجيته بريء منها وعلماؤنا وعلى رأسهم المحدثون منهم قالوا كلمتهم فيها، وقد

ذكر الخطيب البغدادي ايضاً ما يدل على ان المشتغل بالعلم عليه الاعتماد على الاحاديث القوية الصحيحة ويبتعد عن الاحاديث الضعيفة والموضوعة فقال: (وينبغي للمنتخب ان يقصد تخير الاسانيد العالية والطرق الواضحة والاحاديث الصحيحة والروايات المستقيمة، ولا يذهب وقته في الترهات من تتبع الاباطيل والموضوعات وطلب الغرائب والمنكرات)(٢٥).

وقد مر بنا في الفصل الأول وفي المبحث الثاني على وجه الخصوص.

أنه لا بد من ضوابط وقواعد أنزال وأسقاط الأحاديث على زماننا وفي كل عصر سيأتي على الأمة. في الأزمنة التي ستلي زماننا واحوال المسلمين في مستقبل الأيام. وهنا أقول أن المسلم لا بد له من موقف يفهم من خلاله احاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة:

أولاً: أن أحاديث الفتن إنما هو أخبار بصدق نبوته ﷺ.

ثانياً: أن فهم أحاديث الملاحم والفتن وأشراط الساعة يدل على كمال الشخصية المتفاعلة مع مواقع الحياة الآخذة المعطية البناءة الهادفة. غير المنهزمة. والمستلبة،

ثالثاً: إنها شخصية تقتبس من نور الله وتستلهم خطوات الأنبياء والمجددين.

رابعاً: يجب أن لا نكون السبب أو المساعد على نشوئها واستقرارها اي الفتن(٢٦).

خامساً: يجب أن يكون أحدنا قد أخذ موقفاً فيه الاستعداد لظرف طارئ مفاجئ.

سادساً: أن عقيدة الاستسلام لعاديات الزمن ليست من عقيدة المسلم المؤمن بالله رب العالمين.

وقد ظهرت لنا دراسات ومؤلفات وضعت الأمة على حافة قيام الساعة. بينما نجد النبي ﷺ حين تحدث عن أخبار وعلامات وإمارات الساعة الصغرى منها واشراط الساعة الكبرى لم يقل أنها ستقع أو أن قيام الساعة سيكون في السنة الفلانية أو القرن الفلاني. لأنه ﷺ لم يكن ليعلم الغيب. ومتى سيكون موعد محدد قيام الساعة يقول الحق تبارك وتعالى ﭽ **قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﭼ(٢٧) فلهذا لم يحدد النبي ﷺ الزمن أو العمر الزمني لعمر الدنيا أو موعد بعين الظهور فتنة معينة أو ظهور لملحمة أو شرط من أشراطها إلا أن النبي ﷺ وضع لنا ملامح وإشارات وإمارات لتلك الفتن حتى تقع.

لكنه ﷺ ومن خلال الاستقراء العام للأحاديث النبوية نجد الملامح الآتية. لم يتلفظ النبي ﷺ ولو بنص واحد من السنة من خلال الإشارة إلى الفتن أو الملاحم أو ظهور أشراط الساعة. إلا بالقول. ((بين يدي الساعة.. كذا – وكذا أو القول له ﷺ – لا تقوم الساعة إلا بعد كذا – وكذا....))

أو لفظة: يكون بين يدي الساعة كذا وكذا...))

أو لفظة: ليأتين زمان على الناس...، أو ليأتين على احدكم زمان لأن يراني... أحب الله من أن يكون له مثل أهله وماله...))(٢٨).

أو قوله ﷺ: ((إن من أشراط الساعة كذا، وكذا...)).

لذا وجب على المسلم أن يقف موقفاً متأملاً لكلام رسول الله – ﷺ منذ بعثة رسول الله – إلى أن كان الزمن الذي جاء بعده فوصل ألينا. فإن تلك الإشارات والأحداث والأمور التي أخبر عنها النبي ﷺ أنها ستقع في آخر الزمان فتكون كالأشراط أو الأمارات الدالة على قرب الظهور لها بل هي موطئة لها. أما مدلول لفظ النبي ﷺ فهو أنه إذا وقعت تلك العلامات وتحقق فلا يبقى سبب لتأخر العلامات الكبرى، إلا من يكون هناك معنى لتسميتها ((علامات أو أمارات)) إذا لم يكن مجيئها إرهاصاً واعلاماً لما يلحق بها ويقع عقبها مباشرة من علامات كبرى. وقد عد بعض العلماء تلكم العلامات والإشارات فوجدها نيفاً وتسعين علامة وقد يختلف العدد بين العادين وذلك لاعتبارات صحة أو ضعف الأحاديث التي يؤخذ منها العلامات فمن تساهل زاد. ومن تشدد قلل.

ويجب على المسلم أن ينتبه لأمور حتى يتخذ الموقف من أحاديث الفتن:

الأول: إن ظهور أي علامة من علامات الساعة الصغرى أو وقوعها على الوجه الذي أخبر به نبينا ﷺ ينبغي أن يزيد المسلم إيماناً بنبيه ﷺ وتصديقاً لما جاء به فقد أخبر عن أمور غيبية ستكون في آخر الزمان فتحقق بعضها مما أخبر بها لأنه المعصوم ﷺ ﭽ **وما ينطق عن الهوى** ﭼ(٢٩) .

الثاني: أن بعض أهل العلم يخلط في العلامات الصغرى والكبرى التي تكون اسبق ظهورا من العلامات الصغرى.

وغير ذلك من الأمور التي يجب على المسلم أن يقف عندها قبل أن ينزل أو يسقط الأحاديث على زمانه لا لأجل القراءة المجردة وإنما لأجل المزيد من العمل والعمل الذي يعد كمال الشخصية فيه. وهي الشخصية المتفاعلة وليس المتواكلة والمستسلمة للأزمان والمشكلات بكل خذلان وهذه ليست صفة المسلم وإنما هو دائم الانتباه والوعي لكل الحوادث والاحوال، فالظاهر -والله اعلم- ان لكل عصر كذابيه ومؤلفيه الذين ليس لهم هم الا الكذب والنسب الى رسول الله ﷺ مما لم يقله ولم يعنه وانما يذكرنا هذا بقول للامام أحمد بن حنبل (رحمه الله): (ثلاث كتب لا أصل لها: المغازي والملاحم والتفسير)[٣٠] .

المبحث الثاني

هل خروج الفتن وظهور الملاحم يعني قيام الساعة؟

من الواجب علينا تصديق كل ما أخبر به ﷺ إذا صح طريقة وكما آمن وصدق أبو بكر ﷺ بخبر الإسراء. عندما لم تصدقه قريش آنذاك إذ قاسوا قدرة الله على قدراتهم بخلاف الصديق ﷺ فإنه علم وصدق به وعلم أن الله لا يعجزه شيء كما أخبر عن نفسه: ﴿ **وكان الله على كل شيء مقتدراً** ﴾[٣١] فمن علم قدرة ربه ﷻ وصدق رسوله ﷺ لم يضق عقله عن قبول خبره ﷺ في الفتن والملاحم وأشراط الساعة.

فالحذر من تعطيل النصوص التي أخبر النبي فيها بما سوف يقع كما أخبر به من غير زيادة أو نقصان.

ومن المعلوم كذلك في تعطيلها: أن تُعرف عن ظاهرها لأن الشرع لم يأت بألغاز تحار فيها العقول، بل أوضح مراده بلسان عربي مبين.

قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** ﴾[٣٢] .

أي ان هذا الدين ليس فيه بواطن من الامور كما يعتقد البعض من الجهلة المسلمين ولاينبغي أن يدفعنا واقع عصرنا، ونمط حياتنا والثورة العلمية التي بين أيدينا إلى تأويل شيء من علامات الساعة التي لم تقع – لأن مجريات الأحداث تلك غيب – والأيام حبالى ولا ندري ماذا سيكون والعصمة في ذلك هو الوقوف مع الأخبار الصحيحة ولا يقع هذا الأمر على النحو المذكور إلا لنفر قليل ممن رزقه الله اليقين ورفع درجته بالعلم النافع،

والإيمان القوي الذي يتولد عنده تصور صحيح، وتيقظ وتخوف على الأمة من قصورها وذنوبها لذا كان حذيفة بن اليمان[٣٣] ﷺ يقول: ((لوددتُ أن عندي مائة رجل قلوبهم من ذهب فأصعد على صخرة فأحدثهم حديثاً، لا يضرهم بعده فتنة أبداً، ثم أذهب فلا أراهم ولا يروني أبداً))[٣٤].

ونستفيد من هذا الأثر: أن العلم اليقيني بالفتن سبب من أسباب عدم الوقوع فيها ولذا يسئ بعض من الناس فهم أحاديث الفتن ويعكسون الغرض من الأخبار عنها. وفي موضوعها وقد سمعنا غير واحد منهم يحتجون بها على أن الأمر ميئوس منه، وأن سبيل الاصلاح مسدود.

الأول: أننا لا نستعجل بكلامنا عن الفتن والملاحم وأشراط الساعة – لا يقاف عجلة الحياة بل إننا تعلمنا من هذا الدين العظيم أن نعمل لدنيانا كأننا نعيش ابداً ولا نتوقف حتى تتوقف عجلة الحياة فقد قال ﷺ ((إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها))[٣٥] . فكلام الناس إذن عن قرب النهاية كلام فيه نظر وكلام يحتاج إلى دليل لأن القاء يد العجز وترك العمل أو طلب العلم أو الدعوة إلى الله ﷻ بل على العكس من ذلك يعني التزود والاستعداد لهذه الفتن والملاحم الأخيرة بل التزود بالعلم والعمل والتقوى، دون توقف ودون تردد.

الثاني: أن ظهور الفتن وأخبار النبي ﷺ عنها ليس المقصود منها تخويف الناس بل تنبيه الغافلين وإيقاظ النائمين الغارقين في سبات عميق كي يستعدوا فلا يفاجؤا بالفتن والملاحم القريبة وأشراط الساعة الأخرى وقد نزلت بساحتهم ودهمتهم وحلت بديارهم وهم في غفلة معرضون.

الثالث: يجب أن يكون الدليل على عدم الوقوع فيما نذهب أليه أن يكون كلام الله المتعبد به في كتابه العزيز وسنة رسول الله ﷺ ثم أقوال العلماء الأئمة الذين استنبطوا منهما جل الاحكام.

الرابع: لا يملك أحد من الناس لا في قديم ولا حديث أن يحدد تاريخاً بعينه أو سنة بذاتها وهذا من الأمور المهمة في قضية تحديد عمر الدنيا وعمر الساعة المرجو وقوعها فإذا تقرر ذلك. فإن ظهور الفتن والملاحم وأشراط الساعة لا يعني قيام الساعة.

الخاتمة

إن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث في هذه الدراسة هي:

أولاً: إن أحاديث الفتن والملاحم واشراط الساعة إنما هي من الغيبيات. التي أخبر النبي ﷺ عنها.

ثانياً: إن أحاديث الفتن عموماً من أشراط الساعة الصغرى والتي لا يمكن لأحد أن يحدد موعداً ثابتاً لأيام وقوعها أو حدوثها.

ثالثاً: إن تغير أحوال الناس ووقوع الحوادث في العالم عموماً لا يعني أن التغير طارئ عن أوانٍ لقيام الساعة بل يعود ذلك إلى تغير في أحوال الناس وتطور خاضع للنظر.

رابعاً: إن أخبار النبي ﷺ عن الفتن والملاحم القريبة والأكيدة ينبه إلى عدم الركون والخضوع إلى التسليم والرضى بواقع الهزيمة.

خامساً: الفهم العميق لمراد النبي ﷺ لما عناه في أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، حتى يتكون فكر ونضوج عميق لفهم السنة النبوية الصحيحة حتى لا نفاجأ بما سيقع من حوادث وتغير في الأحوال.

سادساً: إن ظهور الفتن لا يعني أن الساعة قد آن أوانها لأن الصحابة ظهر بينهم وفيهم من الفتن ما لا يعد ولا يحصى وكان كل ذلك مما أخبر به النبي ﷺ ولم يكن يرى أحدٌ منهم التسليم على وجه عدم القدرة على التغيير بل كانت لديهم الحجة والقدرة على الاستمرار والمطاولة لأنهم ترجموا أحاديث الفتن وقالوا إنما هي سلسلة من الأحداث لا تعني الانقطاع عن الحياة، بل فتحوا الدنيا ونشروا هذا الدين لا خائفين ولا مستسلمين للفتن

هوامش البحث:

(١) الشورى: (٣٠)

(٢) الانفال : (٤٣).

(٣) صحيح البخاري بشرحه مع الفتح: (٧٠٦١) كتاب الفتن. باب ظهور الفتن. ١٣/١٦-١٧. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان ط١. ١٤١٠هـ - ١٩٨٩ تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز. رقم كتبها وأبوابها وأحاديثها محمد فؤاد عبد الباقي.

(٤) الانفال : (٢٥).

(٥) تفسير الآلوسي: ٢/٦٤٢. ط (١) ١٣٨٩- ١٩٧٥م. بيروت لبنان. بدون دار نشر.

(٦) تفسير بن كثير المعروف (بالقرآن العظيم). ٢/٣٤٥ ط (١) ١٤٢٢هـ - ١٩٩١ م. تحقيق مؤسسة دار الكتاب العربي. بيروت لبنان.

(٧) الضوابط الشرعية لموقف المسلم من احاديث الفتن/ ٧-٨ للشيخ عبد العزيز ال الشيخ وهي نص المحاضرة التي القاها في ربيع الثاني ١٤١١ هـ المملكة العربية السعودية .

(٨) الانفال : ٢٥ .

(٩) المصدر السابق: ٩ -١٠ .

(١٠) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من طريق عن شعبة به والحديث أسناده صحيح على شرط الشيخين: (١٩١٩٣) ٣١/٥٣١ ط (١) حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد.مؤسسة الرسالة بيروت لبنان - ١٤٣٠هـ - ١٩٩٩م.

(١١) المصدر السابق : ٩ - ١٠ .

(١٢) المصدر السابق : ١٠- ١١ .

(١٣) الاسراء : ١١ .

(١٤) صحيح مسلم بشرح النووي: ٩ /١٥٧ (٢٨٩٨) كتاب الفتن. باب لا تقوم الساعة والروم أكثر الناس أنظر الضوابط الشرعية لموقف المسلم من الفتن: ١٧. الضوابط الشرعية لموقف المسلم من الفتن ١٥-١٨ .

(١٥) الاسراء : ١٨ .

(١٦) أنظر محاضرات في مصطلح الحديث: ٣٠-٣٥ للدكتور حارث سليمان الضاري وتيسر مصطلح الحديث: للشيخ الطحان - ٢٤. الضوابط الشرعية: ٢٣.

(١٧) الضوابط الشرعية : ٥٢ .

(١٨) العراق في أحاديث الفتن: ١/٥-٦ ط (١) مكتبة الفرقان ١٤٢٥ - ٢٠٠٤ تصنيف أبي عبيدة مشهور بن مصطفى آل سلمان.

(١٩) لمؤلفه : امين محمد جمال الدين. الناشر دار الكتب المصرية، (ط١)، القاهرة، بدون تاريخ .

(٢٠) لمؤلفه : امين محمد جمال الدين. الناشر دار الكتب المصرية، (ط١)، القاهرة ،بدون تاريخ .

(٢١) لمؤلفه : محمد بن كريم الدين الاشهب. مؤسسة التراث العربي بيروت ،لبنان، ١٩٨٨.

(٢٢) لمؤلفه : خير الدين مكارم.دار الاعتصام ،بيروت ،لبنان، ١٩٩٣.

(٢٣) لمؤلفه : حمدون الخيال. مؤسسة دار العلم للملايين،بيروت،لبنان، ١٩٨٦.

(٢٤) تاريخ بغداد : ١/٣٤٠-٣٤١، طبعة دار العرب، بدون تاريخ.

(٢٥) تاريخ بغداد : ٤٠٢/٤، طبعة دار العرب.

(٢٦) الضوابط الشرعية : ٥٢-٥٣ .

(٢٧) الاعراف : ١٨٨ .

(٢٨) صحيح البخاري بشرحه مع الفتح: (٣٥٨٧) كتاب الفتن ٤١٥.
الصحيح المسند من أحاديث الفتن وأشراط الساعة للشيخ مصطفى العدوي – مكتبة الإيمان – المنصورة، بدون تاريخ طبع.

(٢٩) النجم: (٣).

(٣٠) الجامع لاخلاق الراوي: ١٦٢/٢، الخطيب البغدادي ، حققه محمود الطحان، مكتبة المعارف، ١٤٠٣هـ الرياض.

(٣١) الكهف: (٤٥).

(٣٢) إبراهيم : (٤).

(٣٣) حذيفة بن اليمان الصحابي الجليل أسمه حُسيبل (مصغراً) العبسي أبو عبد الله الكوفي حليف بني عبد الاشهل أعلمه رسول الله ﷺ بما كان وما سيكون إلى يوم القيامة من الفتن والحوادث وهو صاحب السر أبو عبد الله حليف الأنصار من أعيان المهاجرين (ت ٣٦هـ).
أنظر أسد الغابة: ٤٦٨/١. الاستيعاب: ١/ ٣٣٤ – سير أعلام النبلاء: ٢/ ٣٦١.

(٣٤) أخرجه أبو داود: ٢٦٥-٢٦٦ (٢٧) كتاب الزهد وأخرجه أبن أبي الدنيا في (العزلة) (١٤٨) و (١٦٨) وأخرجه ؟ بن حماد في (الفتن) رقم (١٢٩) من طريق عن الاعمش عن عدي

أبن ثابت الانصاري، عن زر بن حبيش عنه، بهذا الاسناد وأسناد صحيح ورجاله ثقات رجال الشيخين.

(٣٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٨٣/٣)

والبخاري في الأدب المفرد: (٤٧٩) وفي الصحيحة للألباني برقم (٩) وهو صحيح أنظر السلسة الضعيفة رقم (١٨).